مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

التربية بين التطويع والتحرير

Education, Between adaptation and liberation

ط.د. سليمان مبارك

المدرسة العليا للأساتذة، الشّيخ مبارك بن محمّد الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

mebarekslimane@yahoo.com

أ.د. مسعود طيبي

المدرسة العليا للأساتذة، الشّيخ مبارك بن محمّد الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

taibi.messaud@ensb.dz

تاريخ الإرسال: 2024/05/17 **تاريخ القبول: 2024/07/28** **تاريخ النشر: 2024/09/30**

المؤلف المراسل: ط.د. سليمان مبارك ، *mebarekslimane@yahoo.com*

الملخص:

رافق الاستعمار الغربي لبلدان أمريكا اللاتينية و آسيا و افريقيا نوعٌ من الأفكار، منها أن العالم الغربي هو من يُنتج كل ما يُساهم في التنمية، ولهذا توقفت دول العالم الثالث عند حد استهلاك الفكر المُنتج والآتي من العالم الغربي. والوسيلة المُعتمدة من طرف المستعمر الغربي لإنجاح مشروعها هذا هي التربية. وعليه مهمة التربية في المجتمع القديم (المجتمع المُستعمر) كانت للمحافظة على الوضع الذي كان قائماً فيه(الاستعمار، الاستغلال، القهر...)، ولكن كما استغل المُستعمر الغربي التربية لصناعة الإنسان المقهور في العالم الثالث، استعمل الأهالي التربية كعملية لتحرير الإنسان.

إذن التربية قديماً كانت للمحافظة على الاستعمار أما حديثاً فيجب أن تكون عنصرًا جوهريًا من عناصر حركة التحرير. وكما يجب أن تكون التربية بمفهومها الحديث بوابة حقيقية للخروج من دائرة التخلف والتبعية الفكرية والإستلاب الثقافي، والدخول في دائرة إثبات الوجود و تحقيق التطور في شتى نواحي الحياة.

الكلمات المفتاحية: التربية، التطويع، التحرير، الغزو، القهر.

Abstract:

Western colonization of the countries of Latin America, Asia, and Africa was accompanied by the idea that Western world is the producer of everything that contributes to the development of these societies. This idea was coined Third World countries to consume the thought produced and coming from the Western world.

The method adopted by the Western colonialists to make this project successful is education. Accordingly, the mission of education in these colonized societies was to preserve the situation in which it existed (colonialism, exploitation, oppression...). But just as the Western colonizer exploited education to create the oppressed human being in the Third World, the people used education as a process of liberating Human. So education in the past was to preserve colonialism, but in the modern times it must be an essential element of the liberation movement.

Keywords:

Education, coercion, libération, invasion, oppression.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

النّظام التربوي هو مجموعة القواعد والتّنظيمات والإجراءات الّتي تتّبعها دولة ما في تنظيم وتسيير شؤون التربية والتعليم من جميع الجوانب، والنّظم التربوية بصفة عامّة هي انعكاس الفلسفة الفكرية والاجتماعية والسياسية في أيّ بلد، بغضّ النّظر عمّا إذا كانت هذه الفلسفة مصرَّحًا بها ومعلَنًا عنها أم لا. وتتأثّر النُّظم التربوية في العالم بالعوامل الرئيسية التّالية:

- العامل الثقافي والحضاري.
- العامل السياسي والإيديولوجي.
- العامل الطبيعي.

وكما يمكن القول أيضًا أنّ النّظام التربوي هو محصلة عدّة عناصر ومكوّنات علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية محلّية وإقليمية وعالمية تسعى إلى التنمية البشرية وإعداد الفرد للحياة.

ولكن دول العالم الثالث درجت على أن تستقبل معظم الأفكار التربوية من العالم الغربي، فهناك يتم إنتاج الفكر الذي يُضيف جديدًا إلى تنمية الفكر التربوي، وما على شعوب العالم الثالث إلاَّ أن تُمارس وظيفتها المعتادة في الوقوف عند حد استهلاك الفكر المنتج والآتي من العالم الغربي.

وهنا كأنّ دول العالم الثالث خالية تمامًا من الإنتاج الفكري الجّيد، فقد أشاع بعض الدارسين الغربيين الذين أعدوا أو رافقوا الاستعمار الغربي لبلدان أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا أنّ سكان هذه القارات هم بدائيون ومتخلّفون ويرفضون أو يقاومون كل محاولة تحديث تهدف إلى ترقيتهم وتطورهم أو إخراجهم من المستوى المتوحش الذي يعيشون فيه. وقد أكد هذه الإشاعة كثير من الدارسين لأحوال المستعمرات وبخاصة من اهتم منهم بالدراسات الأنتروبولوجية والإنتولوجية، وبعض المهتمين أيضًا بأحوال الفقر المدقع الذي ساد هذه المستعمرات في عهد الاحتلال والاستغلال المعروف.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

لا غرابة في هذا الشأن لأنّ هدف هؤلاء كان ولا يزال تبرير الاستعمار باعتباره وسيلة من وسائل إدخال الحضارة الغربية والديانة المسيحية إلى بلدان هذا العالم الثالث، وقد دافع بعض الدارسين الاجتماعيين عن هذه الفكرة واعتبروا الاستعمار الأوروبي ضروريًا من أجل تفكيك البنيات العشيرية والعادات البالية والأنظمة الاقتصادية السائدة في هذه البلدان، فالتطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي لا يمكن تحقيقه في نظر هذه المدرسة إلاّ بعد تحطيم البنيات القديمة المتخلّفة وكسر القيود التي تعوق أو تُبطئ عملية التحول الحتمي نحو بناء مجتمع إنساني أفضل. وكما ساندَ هؤلاء الفكر التغريبي الكولونيالي الّذي سعى لسنوات إلى محو الشخصيات الوطنية للدّول المستعمَرة.

إنّ النّظام التربوي قرارٌ سياسي بالدّرجة الأولى وجزءٌ من مطالب السّيادة الوطنية، يبرز فيه دور الدّولة وحاجات المواطنين ومطالب التنمية الشاملة.

كذلك النّظام التربوي يلعب دورًا رئيسيًّا في إرساء القيم الخلقية للمجتمع، وعلى هذا الأساس فإنّ متطلّبات الحضارة الحديثة تجعلُ من النّظام التربوي عامِلاً حيويًّا لتطوّر المجتمع، وقد أكّدت وقائع التغييرات الّتي شهِدتها المجتمعات المختلفة عبر التاريخ بأنّ المجتمع الّذي يقوم على نظام تربوي بالٍ ومغلَق سوف يؤول عاجِلاً أم آجلاً إلى الزّوال، أمّا النّظام التربوي المتفتّح والمتجدّد باستمرار لمجابهة احتياجات المواطنين ومتطلّبات الحضارة الحديثة، فيمكن أن يلعب دورًا تطوُّريا.

والدّراسة الواردة في هذا المقال هي عبارة عن محاولة استفسار حول مهام التربية في دول العالم الثالث قبل وبعد استقلالها، فما هي المهام الموكّلة للأنظمة التربوية أثناء الاحتلال؟ وهل كانت نفسها بعد الاستقلال؟

ومن هذا المنطلق سوف نتعرض إلى التربية بين التّطويع والتّحرير في دول العالم الثالث، فنتساءل كيف ومتى تكون التربية أداة للتّطويع وكيف ومتى تكون أداة للتّحرير؟

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2.آليات القاهرين في تربية المقهورين: صحيح أنّ هناك مجتمعات قوية وأخرى ضعيفة، مجتمعات متطورة وأخرى متخلّفة، وكثيرًا ما تتصدر القوية والمتطورة التّرتيب، وتتذيله الضّعيفة والمتخلّفة، كما هو الحال بين العالم الغربي المتطور، والعالم الثالث المتخلّف، وكثيرًا ما يُقلّد هذا الأخير العالم الغربي المتطور، وهذا أمرٌ طبيعيٌ كما عبّر عن ذلك (ابن خلدون) بقوله: "إنّ المغلوب مُولع دائمًا بتقليد الغالب". ولكن القضية هنا ليست قضية تقليد وفقط، بل تتعدى إلى السّيطرة والقهر، فهناك بعض من الوسائل والآليات التي يلجأ إليها القاهرون (العالم الغربي) يريدون بها إتمام الشّخصية المقهورة (دول العالم الثالث) التي تكون لبنة ممتازة في المجتمع المقهور المطلوب، ويمكن أن نوجزها فيما يلي:

1.2. الغزو:

ويمكن أن نسميه (الاستلاب)، فالقاهرون لا يؤمنون بأسلوب الحوار ومن ثمة نجد أنّ القاهر لا يستهدف في علاقته مع الآخرين سوى هزيمتهم بكل الوسائل المتاحة، العنيفة والمهذبة، و كما هو معلوم فإنّ الغزو بطبيعته يستوجب قطبين أحدهما غاز والآخر مغزو، أو بتعبير آخر فإنّه يستوجب سالب ومستلبًا أو هازمًا ومهزومًا، ويعمد الغازي في كل طرف إلى فرض أهدافه على المغزو حتى يجعله جزءًا من ممتلكاته الخاصة، (ولكي يُمارس المغزو حياته فإنّه يستبطن شخصية الغازي في داخله، وبذلك يُمارس وجودًا يحوله من طبيعته الإنسانية إلى مجرد شيء أو إلى جُثّة هامدة بلا حياة.) [1]

ولأجل أن يتحقق الغزو، فإنّ القاهر يجنح إلى تحطيم قدرة الجماهير في تمييز العالم، ونظرًا لأنّ القاهرين لا يستطيعون تحقيق ذلك كاملا فهم يجنحون إلى خلق إحساس خرافي بالعالم حيث يقدمون للمقهورين عالمًا من الخداع يزيد من سلبيتهم واغترابهم ويتبعون في تحقيق هذه الغاية أساليب كثيرة من أجل أن يجعلوا العالم يبدو فينظر المقهورين وكأنّه كتلة جامدة واجبهم الأساسي هو التأقلم معها. (وتحقيق هذه الغاية يتم عن طريق التّضليل الذي يودعه القاهرون في عقول المقهورين.) [2].

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2.2. فرق تسد:

ويُعتبر هذا المبدأ من المبادئ المهمة في العمل القهري، ويرجع تاريخه إلى بداية القهر ذاته ويتلخص في أنّه ما دامت الأقلية في مجتمع المقهورين هي التي تُخضع الأغلبية لسيطرتها فإنّ سبل بقائها في الحكم رهن قدرتها على تفريق كلمة المقهورين.

ويتّخذ القاهرون لانجاز هذه الأهداف وسائل شتى تتراوح بين مستوى القهر البيروقراطي والتّضليل الثقافي الذي يوحي للنّاس أنّ القاهرين يقومون بمساعدتهم. ولعلّ أخطر وسائل القهر هو ما يقوم به بعض المتخصصين الذين يركزون فكرهم في قضايا جزئية وجانبية يحجبون بها النّاس عن رؤية الواقع في صورته الشّاملة. ومن أبرز مظاهر التّغريب والغزو الثقافي ذلك الذي يُمَارس تحت شعار تنمية المجتمع حيث تُقسّم المنطقة إلى مجتمعات محلية دون دراسة عميقة لطبيعة هذه المجتمعات ككل متكامل في إطار واقعها الخاص من جهة وكجزء من المجتمع الكبير من جهة أخرى. إن هذه الممارسة هي ضرب من التّجزئة التي تُبْقِي النّاس متفرقين حتى لا يدركوا مشاكلهم الكبرى. ويمكننا أن نقول إنّ التّركيز على قضايا محدّدة في شريحة من شرائح المجتمع ثم تجسيد هذه الشّريحة عمل يستهدف (إعاقة المقهورين وعزلهم عن رؤية المشاكل التي يواجهها بقية أفراد المجتمع.)[3]

ولقد يكشف التّحليل السيكولوجي أن الكرم الزّائف للقاهرين إنّما هو تعبير عن الإحساس بالذّنب، فبهذا الكرم الزّائف لا يحاول القاهر فقط الحفاظ على نظام غير عادل ومُميت، وإنّما يحاول إيجاد السّلام لنفسه، ولكن السّلام لا يُشترى بهذا الأسلوب، لأنّ السّلام يُستشعر عن طريق التّماسك والحب الذي لا يمكن أن يكرّس في ظروف القهر، وبذلك فإنّ الوعي الديني الزّائف في نظرية تربية المقهورين هو في حقيقته تأكيد لأهم مقومات هذه التربية، أي الحاجة إلى الغزو، ومادامت هنالك فئة ترى ضرورة تقسيم النّاس من أجل الحفاظ على وضعها كطبقة قاهرة فإنّ هذه الفئة تجهد في ألا يرى المقهورون إستراتيجية قهرهم لذلك تجدهم يحاولون إقناعهم بأنّهم حماتهم ضد الأعمال الشّيطانية وضد المتطرّفين والمشاغبين وأعداء الله، وهكذا لأجل أن يُقسم القاهرون النّاس ويُربكوهم (فإنّهم يسمون أنفسهم (بناة) بينما يعتبرون (البناة) الحقيقيين هدامين وأعداء.)[4]

المجلد: (16) | العدد: (02) | السنة: 2024 | صفحات المقال: 570–583 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

3.2. الاستغلال:

والاستغلال مثل (فرق تسد) وسيلة من وسائل الغزو الذي هو المحور الأساسي في تعليم المقهورين، فبوسيلة الغزو تحاول الطبقة المتسلّطة أن تجعل الجماهير تتوافق مع أهدافها، وبقدر ما تكون الجماهير غير ناضجة تسهل عملية استغلالها بوساطة هؤلاء الذين يريدون الاستمرار في تسلّطهم.ولقد قالها بصراحة حاكم من حُكّام مصر السّابقين المتسلّطين، وهو (الخديوي سعيد) عندما قرّر أنّ الأمة الجاهلة أسلس انقيادا من الأمّة المتعلمة.

ويستدل القاهرون من خلال عملية الاستغلال توجيه النّاس إلى أنواع مُزورة من التّنظيم تجنبهم التّهديدات المحتملة، فلو تُوفر للجماهير تنظيم واعٍ فعّال نابع حقيقة منهم، ذلك أنّ مثل (هذا التّنظيم يقود المقهورين إلى تحقيق حرياتهم، لكن الإخفاق يؤدي بهم إلى عكس ذلك تمامًا.)[5]

4.2 الغزو الثقافي: وفي هذه الظاهرة يخترق الغزاة الواقع الثقافي لجماعة من النّاس متجاهلين إمكانات هذا الواقع ومحاولين فرض تصورهم الخاص للعالم على أولئك الخاضعين من أجل تعطيل قدراتهم على الإبداع والتّعبير، وبصرف النّظر عما إذا كان الغزو الثقافي متحضرًا أم همجيًا فإنّه مظهر من مظاهر العنف موجّه ضدّ فئة من النّاس من أجل إضاعة أصالتها وتهديدها بالزّوال، وكأيّ عمل قهري، فإنّ الغزاة يُمارسون دور المؤلفين والممثلين في هذه العملية، وأما الذين يتم إخضاعهم فيشكلون المسرح الذي ينجزون فيه مثل هذا العمل.

وقد يكون الغزو الثقافي ظاهرًا أو قد يتنكر في بعض الأحيان في ثوب التّمويه، وذلك بالطبع حيث يتظاهر الغزاة بأنّهم أصدقاء، وعلى الإجمال فإنّ الغزو ضرب من السيطرة الاقتصادية والثقافية، وقد تمارسه دول متمدنة على مجتمع ضعيف، وقد تمارسه طبقة على طبقة أخرى في إطار المجتمع الواحد، وفي جميع الحالات فإنه يؤدي إلى طمس حقيقة أولئك الغزاة ، فالغزاة من أجل تنفيذ رغباتهم في السيطرة وتغيير الآخرين كي تتوافق مع واقعهم يحسون بدافع عميق لمعرفة الطريقة التي ينظر بها المغزون للعالم وذلك من أجل إحكام

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

السيطرة عليهم، ذلك أن نظرية الغزو الثقافي تقوم على أن ينظر المغزوون إلى واقعهم من خلال نظرة الغازي لهم، وبقدر ما يقلدون الغزاة بقدر ما يتأمن وضع الغزاة، ولأجل أن يتحقق هدف الغزو فلا بد أن يقتنع المغزوون أو بدونيتهم لأن في اقتناعهم بالدّونية اعترافًا بعلوية الغزاة. وفي هذا الاعتراف يكمن التحول الذي يؤدي بالمقهورين إلى تمثّل خطى الغزاة في طرائق مشيهم ولبسهم وسلوكهم الاجتماعي، وبذلك يتحقق الازدواج في شخصياتهم، وهذا الازدواج هو الذي يوضّح لماذا يتعايش المقهورون في بعض المراحل مع قاهريهم، ولا يمكن لهذا الازدواج أن ينتهي إلاّ إذا نزع المقهور نفسه بعيدًا عن قاهره حتى يتمكن من تمييزه على البعد وبذلك يدرك التناقض القائم بين شخصية القاهر وشخصيته ففي هذا العمل يدرك أي ظروف لا إنسانية يعيش فيها. (وبهذا التّغيير النّوعي وحده في النظرة يتأتى تغيير العالم عن طريق النّضال.) [6]

فالمستبد القاهر كما يراه المفكر العربي (عبد الرحمان الكواكبي) أشبه بالوصي الخائن على أيتام أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى ماداموا قاصرين، (فكما أنّه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رُشدهم، كذلك ليس غرض المُستبد أن تتنور الرعية بالعلم) [7]

3. لا تنمية بإنسان مقهور:

غداة استقلال عديد من بلدان العالم الثالث، اندفع قادة هذه البلدان المستقلة إلى طريق التنمية، ولكن بغير أن يدركوا المنطلقات الأساسية للتنمية. انطلق هؤلاء جميعًا في مشاريع تنمية طنانة، ذات بريق ووجاهة، قائمة على دراسات ومخططات جزئية، لم تتجاوز السطح في معظم الأحيان، لكي تنفذ إلى دينامية البنية من ناحية، أو إلى التكوين النفسي والعقلي للإنسان المتخلف الذي أُريد تطويره من ناحية ثانية. وضعت خطط مستوردة عن نماذج طُبّقت ونجحت في بلدان صناعية، ولكن مسيرة هذه الخطط لم تذهب بعيدًا. فلقد اختفت التّجارب المستوردة والمشاريع الملصقة من الخارج، كما (فشلت المشاريع ذات الطّابع الدّعائي الاستعراضي في تحريك بنية المجتمع ككل، وفي الارتقاء بإنسان ذلك المجتمع.) [8]

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

كان السّبب الرئيسي في هذا الإخفاق أنّ إنسان هذه المجتمعات لم يُؤخذ بعين الاعتبار، عنصرًا أساسيًا ومحوريًا في أيّ خطّة تنمية، هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات العلمية والتّجارب أنّ التّنمية مهما كان ميدانها تمس تغيير الإنسان ونظرته إلى الأمور في المقام الأول، ممّا يوجب وضع الأمور في إطارها البشري الصحيح، وأخذ خصائص الفئة السكانية التي يُراد تطوير نمط حياتها بعين الاعتبار، (ولابد بالتّالي من دراسة هذه الخصائص ومعرفة بنيتها وديناميتها.) [9]

فكما تّعرف التنمية: (أنّها تستهدف توفير الحاجات الأساسية للفرد وضمان حقه في المشاركة وتعميق متطلبات أمنه واستقراره في المدى الطويل.) [10]

وقريب من هذا التعريف للتنمية التي يجب أن تهدف إليها بلاد العالم الثالث، التعريف التالي : "عملية التنمية هي إحداث مجموعة من المتغيرات الجذرية في مجتمع معين بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتجددة لأعضائه بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة وحسن توزيع عائد ذلك الاستقلال. [11]

وهذا المفهوم بشموليته يُفسر فشل مجهودات التنمية في البلدان التي اكتفت بتحقيق المعايير الخارجية للتنمية بالمعاني الاقتصادية الصرفة بدون تطوير قدراتها الذاتية المتصلة بالأمور الاجتماعية والثقافية والسياسية. ولعلّ دول العالم الثالث المنتجة للنفط من الدول حاجة للانتباه إلى هذا المفهوم، وذلك لعدة أسباب أهمها:

– تحقيق معدل مرتفع للدخل في تلك الدول مع ازدياد حجم الفروق بشكل واضح.

– قصورها في إشباع الحاجات المادية كما تكشف عنه بعض الأرقام القياسية العالمية.

– اعتمادها في الإنفاق على مصدر وحيد ومحدد الاستمرار هو البترول، الذي يستنزف في نفقات الميزانية الجارية، والصرف على الاستهلاك.

المجلد: (16) | العدد: (02) | السنة: 2024 | صفحات المقال: 570–583 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

– الحالة الخاصة التي تجتازها تلك الدول فيما يخص إشباع الحاجات الأساسية المعنوية المواطنين، وأهمها المشاركة في صنع القرار.

– انهماك هذه الدول في مشاريع كبيرة وبخطى متسارعة تحت شعار التنمية مع انغماسها في النزعة الاستهلاكية واعتمادها الكبير على العمالة الأجنبية في بعض القطاعات.

– تحول مشاريع التنمية الى عملية تدوير العوائد النفطية إلى الدول الغربية في صورة مستوردات سلعية وخدمية أكثر من ارتباطها بدراسات الجدوى.

انطلاقًا من المفهوم الشّامل للتنمية، فإنّ المؤسسات الاجتماعية المختلفة تلعب أدوارًا محددة لكل منها في خلق "العملية المجتمعية الواعية الموجهة" لإحداث التنمية بمؤشراتها ومعاييرها المادية والمعنوية، وتحظى التربية من بين تلك المؤسسات بدور متميز في إحداث التنمية وضمان استمراريتها.

إنّ الدور الذي يمكن للتربية أن تقوم به في تحقيق التنمية يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط:

– إيجاد قاعدة اجتماعية عريضة متعلمة بضمان حد أدنى من التعليم لكل مواطن، يمكنه من العيش في مجتمع يعتمد على القراءة والكتابة ووسائل الاتصال الجماهيري على مختلف أنواعها.

– المساهمة في تعديل نظام القيّم والاتجاهات بما يتناسب والطموحات التنموية، في المجتمع، ومن ذلك تعزيز قيمة العمل والإنتاج، ودعم الاستقلالية في التفكير الموضوعية في التصرف، ونبذ الاتكالية والنزعة الاستهلاكية، وإطلاق الطاقة الإبداعية للفرد بتنمية قدرته على الملاحظة والتجريب والتحليل والتطبيق وتأكيد دور الفرد في المساهمة في بناء مجتمعه، وضرورة تمتعه بممارسة هذا الدور، والمشاركة الفكرية والاجتماعية والسياسية ضمن إطار حق تمتع الآخرين بهذا الدور.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4. آليات التربية التحريرية:

مثلما كان القاهرين يستندون إلى وسائل وآليات بعينها لصياغة الإنسان المقهور، فإنّه من الجوهري للقائمين بأمر التربية كعملية لتحرير الإنسان أن يستندوا إلى وسائل وآليات مغايرة سواء من حيث طبيعتها وفلسفتها أو أهدافها وتتمثل هذه الآليات فيما يلي:

1.4 التعاون:

إذا كنا قد رأينا في نظرية تعليم المقهورين (العمل اللاّحواري) أنّ الامتلاك أو الغزو بصفتهما حجر الأساس في تلك النظرية يتضمنان وجود فاعل وهو الغازي و مفعول به وهو المغزو وهو الذي يحوله هذا الغازي إلى مجرد شيء، فعكس هذا نجده في نظرية العمل الحواري أو التربية للتحرير، ذلك أنّ الفاعلين يلتقون جميعًا في علاقة تعاونية من أجل تطوير العالم، وإذا كان (الأنا).اللاحوارية تحول (الأنت) إلى مجّرد شيء، فإنّ (الأنا) الحوارية كما يقول (مارتن بوبر) تدرك أنّ (الأنت) قد أدركت واقعها وأن المحتم أن تدخل مع (الأنا) في علاقة جدلية من أجل تغيير العالم. وهكذا فلا تحتمل نظرية العمل الحواري وجود جماعة يقتصر دورها على السيطرة وتستخدم في ذلك حقًا غير شرعيًا في الامتلاك، كما لا تحتمل وجود آخرين يقتصر دورهم على الانقهار، وإنّما تتضمن هذه النظرية أناسا لهم هدفًا واحدًا يسيرون إليه،هو تطوير العالم بعد تمييزه، وإذا لم يستطيع هؤلاء النّاس لأسباب تاريخية، أن يقوموا بدورهم المنوط بهم فإنّ طرح واقعهم عليهم كمشكلة قد يساعد على تبصيرهم بهذا الدور، ولا يعني ما تقدم أنّه في نظرية العمل الحواري ينتفي دور القادة، بل يعني ما ذهبنا إليه أنّه لا يحق لهؤلاء القادة رغم أهمية دورهم والحاجة إليهم أن يمتلكوا النّاس أو يوجهونهم بطريقة عمياء نحو الخلاص لأنّ مثل هذا الخلاص سيكون مجرد منحة من القادة إلى النّاس، وبذلك يتحول الناس من مشاركين في العمل التحريري إلى مجرد موضوع له. ولهذا فإنّ (التعاون كركيزة من ركائز العمل الحواري لا يمكن أن يتم إلاّ حين يشارك الجميع رغم الاختلاف في التخصصات وأهميتهم، ولا تتم هذه المشاركة إلاّ بالحوار.)[12].

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2.4 الوحدة من أجل التحرير:

إنّ التفرقة هي عمل من صميم إيديولوجية القهر، وأما الوحدة فهي عمل ثقافي يتأتي للمقهورين بموجبه أن يعرفوا : كيف؟ ولماذا؟ وهذا ما يجعل العمل من أجل الجماهير ليس مجرد شعار بل هو عمل من أجل انبثاق الشخصية الكاملة للفرد والمجموعة، ذلك أن هدف العمل الحواري من أجل الحرية لا يعني تحرير الجماهير من واقع معين لتقييدهم بواقع آخر، وإنّما يعني انطلاق هذه الجماهير من أجل تغيير الوضع غير العادل الذي ظلوا يمارسونه. وما دامت وحدة المقهورين تتطلب التماسك بينهم بصرف النظر عن واقعهم فإن مثل هذه الوحدة تحتاج بالضرورة إلى وعي طبقي.

3.4 التنظيم:

إن التنظيم هو الرّد الحاسم على نزعة الاستغلال، و على الرغم من أن التنظيم يرتبط دائمًا بالوحدة فإنّه في حقيقته تطور طبيعي لها، لذلك فإن سعي القادة لتحقيق الوحدة هو في حقيقته سعي من أجل التنظيم الذي به تتحقق أهداف الحرية، وهو دليل على التواضع والشجاعة والمشاركة في العمل الجماعي حيث يتفادى النّاس به الوقوع في أخطاء العمل اللاحواري، وهذا الدليل قد يختلف أسلوبه بحسب الظروف التاريخية التي يعيشها الشعب.

ولا بد أن نضع في الحسبان أن النماذج الثورية الصادقة تضع في اعتبارها دائمًا احتمال الإخفاق في كسب الجماهير إلى صفها، ولكن يجب ألا يؤدي ذلك إلى التقاعس لأن عملها ذو طبيعة ديناميكية، وإذا كان العمل اللاحواري يحيد الجماهير ليبسط سيطرته عليها فإنّ العمل الحواري يقضي على الاستغلال بالتنظيم، وإذا كان الاستغلال في العمل اللاحواري يخدم أغراض الامتلاك، فإنّ الجرأة والحب الذين يتميز بهما العمل الحواري يخدمان أهداف التنظيم. وبالنسبة للصفوة المتسلطة فإنّ التنظيم عندها يعني (تنظيم مصالحها، وأما بالنسبة لقادة التحرير فإن التنظيم يعني تنظيم أنفسهم مع النّاس.) [13].

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4.4 التآلف الثقافي:

إنّ العمل الحواري يستهدف احتواء المتناقضات، وبذلك يتمكن من تحقيق حرية النّاس، أما نظرية العمل اللاحواري فإنها تبقى على هذه التناقضات لكي تحول دون تحقيق التطور اللازم لتحرير النّاس.

في نظرية الغزو الثقافي يستمد الممثلون (المسيطرون) نظريات أدوارهم من قيّمهم و إيديولجيتهم الخاصة حيث يبدءون من عالمهم الخاص يغزون به عالم المقهورين، وأما في نظرية التآلف الثقافي فإنّ الممثلين الذين يأتون من عالم مختلف ويدخلون عالم الجماهير لا يدخلونه كغزاة أو معلمين أو مبشرين، بل يدخلونه كمتعلمين مهمتهم ترتكز في أنْ يعرفوا عن النّاس، كذلك في الغزو الثقافي لا يحتاج الممثلون إلى الاتصال بالجماهير، وقد يكتفون بالوسائل التقنية يفرضون بها أنفسهم على النّاس الذين يقومون بدور المشاهد فحسب، أما في نظرية التآلف الثقافي فإنّ(الممثلين يندمجون مع النّاس ليصبحوا مشاركين لهم في العمل الذي يقومون به معًا تجاه العالم)[14]

5. الاستنتاج:

نستنتج من خلال ما سبق أنّ مهمة التربية في المجتمع القديم كانت للمحافظة على الوضع الذي كان قائمًا فيه (الاستعمار، الاستغلال، القهر...)، أما الآن فيجب أن تكون التربية عنصرًا جوهريًا من عناصر حركة التحرير.

فدول العالم الثالث ورثت أنظمة تعليمية حسب الأهداف والغايات الّتي رسمها النّظام الاستعماري وكانت هذه الأهداف تتمثّل في:

- محو الشخصية الوطنية للدّول المقهورة.
- طمس معالم وتاريخ شعوب دول العالم الثالث.
- تحقيق سياسة الاستعمار والإدماج.

ولكن بعد الاستقلال أدركت دول العالم الثالث ضرورة تغيير المنظومات التربوية الموروثة وتعويضها بأخرى جديدة تعكس خصوصيات الشخصيات المحلية لهذه الدّول (دول العالم الثالث).

المجلد: (16) | العدد: (02) | السنة: 2024 | صفحات المقال: 570–583 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

وإيماناً من دول العالم الثالث بأنّ المدرسة تعمل على الحفاظ على قيم المجتمع العريقة وإيصالها إلى الأجيال الحاضرة، فعمدت هذه الدّول إلى تنظيم التعليم مركّزة على:

- تكوين الإنسان المتكامل والمتوازن الشخصية.
- الإسهام في تنمية البلاد اجتماعيا واقتصاديا.
- تأكيد ديمقراطية التعليم.
- تأصيل التعليم وجعله مرتبطًا بقضايا الوطن.
- تطوير المدرسة وجعلِها تواكب مسيرة المجتمع.
- تحقيق المدرسة الموحَّدة.
- ترسيخ القيم الوطنية في نفوس المتعلّمين.
- تنويع المعارف والمهارات والخبرات الّتي تحقّق التّوازن.
- تنمية الثّقافة التكنولوجية.

والمشكلة التي تواجه رجال التربية الذين يريدون الإسهام في تحرير المجتمع ببذل جهود داخل النظام التربوي وخارجه على السواء (خارجه تخطيطًا وداخله تنفيذًا) هي مشكلة معرفة ماذا وكيف ومع من وضد من ولمصلحة من يعملون؟

6.الخاتمة:

نختم بالقول أن التربية سلاح ذو حدين، وذلك بحسب الأهداف المنشودة منها، فالدول الاستعمارية استخدمتها كأداة للتطويع وذلك بمحاولتها إبعاد الدول المستعمرة عن هويتها وأصالتها وسلخها من مقوماتها الوطنية وبذلك تكون سهلة إدماجها.

ولكن ظهور الحركات الإصلاحية بصفة عامة، والحركات التحررية على وجه الخصوص في هذه الدول المستعمرة حالت دون تحقيق مطامح وأهداف الدول الاستعمارية، فهنا أصبحت التربية كأداة للتحرير، إذ عملت هذه الحركات على القضاء على التعليم الذي ورثته من الدول التي استعمرتها.

ومنه نقر أن التربية أساس قيام مجتمعات ودول مستقلة وسيادية، فعليه يجب تطويرها وإصلاحها وذلك بإحداث ثورة في ذهنيات الأشخاص وسلوكاتهم بهدف القضاء على السلبيات الناجمة عن الوجود الاستعماري الذي حارب مقومات المجتمعات المقهورة.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 570–583	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7. الهوامش:

1- باولو فرير، **تعليم المقهورين**، ترجمة يوسف نور عوض، 1980، بيروت، دار القلم، ص103.

2- نفس المرجع، ص104.

3- نفس المرجع، ص106.

4- نفس المرجع، ص109.

5- نفس المرجع، ص 110.

6- نفس المرجع، ص 114.

7- نفس المرجع، ص26.

8- حجازي مصطفى، **التخلف الاجتماعي، سيكولوجة الإنسان المقهور**،1981، بيروت، معهد الإنماء العربي،ص 7.

9- نفس المرجع، ص8.

10- الكواري علي خليفة، فيفري **1981، ماهية التنمية الاقتصادية، وجهة نظر حول التنمية في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط**، ، دراسة غير منشورة، ص12.

11- القرنشاوي حامد، (د،س)، **تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي**، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة التعليم و التنمية، المعهد العربي للتخطيط، (د،ت)، الكويت، ص 120.

12- باولو فرير، **التربية، أتطويع هي أم تحرير؟** 1973، مستقبل التربية، العدد الثاني، ص 125.

13- باولو فرير، **التربية أتطويع هي أم تحرير؟** ص132.

14- باولو فرير، التربية أتطويع هي أم تحرير؟ ص 136.

8. قائمة المراجع:

- باولو فرير، **تعليم المقهورين**، ترجمة يوسف نور عوض، 1980، بيروت، دار القلم.

- حجازي مصطفى،**التخلف الاجتماعي،سيكولوجة الإنسان المقهور**،1981، بيروت، معهد الإنماء العربي.

9. المجلات، الموسوعات والرسائل الجامعية، والأطروحات:

- القرنشاوي حامد، (د،س)، **تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي**، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة التعليم و التنمية، المعهد العربي للتخطيط، (د،ت)، الكويت.

- باولو فرير، **التربية أتطويع هي أم تحرير؟** 1973، مستقبل التربية، العدد الثاني.

- الكواري علي خليفة، فيفري **1981، ماهية التنمية الاقتصادية، وجهة نظر حول التنمية في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط**، ، دراسة غير منشورة.